

نور الأبرار

في شرح الصَّحِيفَةِ السَّجَّادِيَّةِ

لِلسَّيِّدِ الْأَيْدِ الْفَاضِلِ الْمَتَبَحَّرِ الْمُحَدِّثِ

السَّيِّدِ نِعْمَةِ اللَّهِ الْجَزَائِرِيِّ

رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أطلع أبناء التراب على أسرار ملكوته الخفية، ونور قلوبهم بأدعية الصحيفة السجادية، والصلاة على رسوله الهادي للأنام، وعلى آله مصاييح غياهب الظلام.

وبعد، فيقول تراب نعال أهل العلم نعمة الله بن عبد الله الحسيني الجزائري. إن للوصول إلى جناب قربه تعالى طرائق متعددة، ووسائل متبددة، وكان أوضحها سبيلاً وبرهاناً، وأعلاها شرفاً ومكاناً، سلوك محجة الدعوات المروية، والولوع بما انطوت عليه الصحيفة السجادية، ولما لم يكن لها شرح يذلل منها الصعاب، ويكشف عنها اللباب، كتبنا عليها في عنفوان الشباب شرحاً مبسوطاً وافياً، ومنهلاً عذباً صافياً، وقد رأينا الطباع آية إلا الاختصار، ومنحرفة إلا عن الذي فيه الانحصار، فأحببنا أن نعلق عليها شرحاً آخر يناسب الحال، ويكون خالياً من الإطناب والإملال، ووسمناه نور الأنوار، في شرح كلام خير الأخيار.

سلام من الرحمن نحو جنابه فإن سلامي لا يليق بيباه والمرجو من اخواننا في الدين، واخلاننا في طلب اليقين، أن يذكرونا بدعاء جميل، وبصفحة جزيل:

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلاً أن تعد معاييه
قال راوي الصحيفة:

«حدثنا السيد الأجل»

اختلف في المتكلم به، فذهب شيخنا البهائي (قده)، إلى أنه علي بن السكون، وهو من ثقات علماء الإمامية، وأيده بقول الكفعمي في حواشي مصباحه، في نسخة ابن إدريس كذا، وفي نسخة ابن السكون كذا، وقال السيد الداماد. ما لفظه: حدثنا في هذا الطريق عميد الرؤساء، وهو الذي روى الصحيفة الشريفة عن بهاء الشرف، وأيد ما ذهب إليه بقوله: وهذه صورة خط شيخنا المحقق الشهيد قدس الله تعالى لطيفته، على

نسخته التي عورضت بنسخة ابن السكون، وعليها. أعني على النسخة التي بخط ابن السكون، خط عميد الدين عميد الرؤساء، قراءة قرأها على السيد الأجل النقيب الأوحد العالم، جلال الدين، عماد الإسلام، أبو جعفر القاسم بن الحسن بن محمد بن الحسن بن معية أدام الله تعالى علوه، قراءة صحيحة مهذبة، ورويتها له عن السيد بهاء الشرف، أبي الحسن محمد بن الحسن بن أحمد عن رجاله المسمين في باطن هذه الورقة، وأبحث روايتها عني حسب ما وقفته عليه وحددته، وكتب هبة الله بن حامد، في شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث وستمائة. انتهى. وحيثذ فالطريق في نسخة ابن السكون هكذا: أخبرنا أبو علي الحسن بن محمد بن اسمعيل بن أشناس البزاز، قراءة عليه فأقرأني، قال: أخبرنا أبو الفضل محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الشيباني، إلى آخر ما في الكتاب، وكلاهما حسن لما يظهر من كتب الإجازات، من أنهما يرويان الصحيفة الشريفة عن السيد الأجل.

وأما النسخة التي في الهامش المصدرة بقوله: حدثنا الشيخ الأجل، فهي النسخة التي نقلها الفاضل السديدي من نسخة ابن إدريس، لبيان الاختلاف في السند بينها وبين نسخة ابن السكون، وقد وجدناها مكتوبة في الأصل في كثير من النسخ، والمتكلم يحدثنا. هو ابن إدريس.

مركز تحقيق التراث

قوله «أبو الحسن محمد بن الحسن»

حاله مجهول في الرجال، كحال الخازن والخطاب والبلخي، وهو غير ضائر لتواترها بين الفريقين حتى أن الغزالي وغيره سموها. إنجيل أهل البيت، وزبور آل محمد ﷺ، وإنما رتبها أصحابنا على طريق التعنعن عنهم سلوكاً لمحجة التيمن والتبرك باتصال روايتها بالمعصوم ﷺ، مع أنهم من أهل الإجازة، لا من أهل الرواية، وأيضاً. إعجاز أسلوبها، وغرابة أطوارها، شاهدان عدلان على أن مثلها لا يصدر إلا عن مثله، وأما أنا فلي في روايتها طرق شتى، كما لأصحابنا رضوان الله عليهم، وهو الداعي إلى اختلاف عباراتها، وقد بنينا شرحنا هذا على نسخة شيخنا البهائي (قده) التي هي بخط جد أبيه شمس الدين صاحب الكرامات والمقامات، وهو نقلها من خط السديدي، ونقلها هو من خط علي بن السكون، فما هو في أصل نسختنا فهو موافق لنسخة ابن السكون، وما هو بعلامة س فهو نسخة ابن إدريس، وما كان في

الأصل مرقوم عليه معاً فكانا معاً في نسخة ابن السكون، وما كان في س معاً فكانا معاً في نسخة ابن ادريس، وما كان مرقوماً عليه خ فهو ما كتبه ابن ادريس أو ابن السكون في الهامش.

قوله «شَهْرِيَّاز»

بفتح آخر الجزء الأول على الفتح تشبيهاً له بخمسة عشر، ومنع صرف الثاني والكسر حمزة، وقد جوزه شردمة قليلة وبنوه على إضافة الجزء الأول إلى الثاني ومنع صرف المضاف إليه، وهذا وإن كان من المركبات الأعجمية، لأن الشهر بمعنى البلاد، ويار بمعنى الخل والمعين والناصر، أي ناصر أهل البلاد ودافع الظلم والتعدي عنهم، والإعراب والبناء إنما يكونان في الأسماء الموضوعة في لغة العرب، لكن ما استعمله العرب كثيراً أجروا عليه أحكام كلامهم، وإن لم يتصرفوا به.

قوله «مَوْلَانَا»

أي ناصرنا أو من هو أولى منا بأمورنا، والمراد منه ما وقع في قوله ﷺ : من كنت مولاه فعلي مولاه.

قوله «أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ»

مشتق من الميرة، وهو الكيل، لأنه يكيل العلم للمؤمنين، ومنه قوله تعالى: ﴿وَنُمِرْ أَهْلَنَا﴾. وقد خصه الله تعالى به، حتى أن السيد الزاهد ابن طاووس، صنف كتاباً كبير الحجم سماه كشف اليقين، في تسمية مولانا أمير المؤمنين ﷺ، ونقل فيه أحاديث كثيرة تدل صريحاً على انحصار التسمية به ﷺ، ولذا لم يسم أحد من أولاده المعصومين به وإن شاركوه في معناه.

وقد روى العياشي في تفسيره حديثاً، عن الصادق ﷺ، بأنه لم يسم أحد بهذا الاسم غير علي بن أبي طالب ﷺ إلا كان مختئاً، وهو غير بعيد، لقول جلال الدين السيوطي وهو من أكابر علمائهم، في تعاليقه على القاموس، عند تصحيح لغة الأئمة، وكانت في جماعة في زمن الجاهلية أحدهم سيدنا عمر، وقول ابن الأثير، وهو أيضاً من أعظم فضلائهم. زعمت الروافض أن سيدنا عمر كان مختئاً، كذبوا لعنهم الله، ولكن كان به داء دواؤه ماء الرجال. فانظر إلى اعتذار هذا الفاضل عن إمامه،

وكيف استحق الروافض عنده اللعنة، مع أنه هو الذي علمهم صفات إمامه المباركة عليه، وهذا قليل بالنسبة إلى نسبه الشريف، المستفيض بين الفريقين، الذي قد نظمه الشاعر:

من جده خاله والديه وأمه أخته وعمته
أجدر أن يفيض الوصي وأن ينكر يوم الغدير بيعته

وذكر أبو المنذر هشام بن محمد السائب الكلبي، وهو من رجالهم، في كتاب المثالب، فقال ما هذا لفظه: في عدد جملة من ولدوا من سفاح، هشام عن أبيه قال: كانت صهاك أمة حبشية لهاشم بن عبد مناف، فوقع عليها نصر بن هشام، ثم وقع عليها عبد العزى بن رباح فجاءت بنفيل جد عمر بن الخطاب. وذكر ابن عبد ربه في كتاب العقد في المجلد الأول، في حديث استعمال عمر بن الخطاب لعمر بن العاص في بعض ولاياته، ما هذا لفظه: قبح الله أمراً عمل فيه عمرو بن العاص لعمر بن الخطاب، والله إني لأعرف الخطاب يحمل على رأسه حزمة من حطب، ورأيت ابنه مثلها. وذكر مؤلف نهاية العلوم، أن عمر بن الخطاب كان قبل خلافته نخاس الحمير، وذكر أبو عبيد القاسم بن سلام، في كتاب الشهاب، في تسمية تسع من قريش في الجاهلية، ما هذا لفظه: والخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عدي بن كعب أبو عمر بن الخطاب، قطع يده في سرقة قدر، ومحاه رضى الناس عنه.

وذكر ابن عبد ربه في ذلك الكتاب، قال: خرج عمر بن الخطاب ويده على المعلى بن أبي الجارود فلقيته امرأة من قريش، فقالت: يا عمر فوقف لها فقالت: كنا نعرفك من قبل عمير، ثم صرت من بعد عمير عمر، ثم صرت من بعد عمر أمير المؤمنين، فاتق الله يا ابن الخطاب، وانظر في أمور الناس، فإنه من خاف الوعيد، قرب عليه البعيد. أقول فيا عجباً من قوم رويوا أن عمر كان ولد زناً وأنه كان في الجاهلية نخاس الحمير، وأن أباه كان سراقاً، وأنه ما كان يعرف إلا بعمير لردالته، ثم مع هذا جعلوه خليفة قائماً مقام نبيهم، ونائباً عن الله في عبادته، وقدموه على أهل الشرف في الجاهلية والإسلام.

قوله «ست عشرة»

بسكون الشين، وهي اللغة الفصيحة الحجازية فراراً فيها عن توالي أربع فتحات فيما هو كالكلمة الواحدة، مع امتزاجها بالنيف الذي في آخره فتحة، وفتح الشين حمزة، وقد جوزه بعض النحاة بناء على عروض التركيب. وأما بنو تميم فقد فروا من ذلك المحذور، والتجأوا إلى كسر الشين، وهو من باب إزالة الثقل بثقل آخر.

قوله «قراءة» تمييز برفع الإبهام عن النسبة.

قوله «على الشيخ»

متعلق بفعل محذوف، أي تقرأ عليه، ويجوز تعلقه بالفعل المذكور بتضمينه الفعل المحذوف.

قوله «العكبري»

بفتح الباء، والضم حمزة، نسبة إلى عكبرا بفتح الباء والمد، قرية بالشام.

قوله «المعدل» أي الموصوف بالعدالة، رقيق هو لقبه.

قوله «المطلب الشيباني»

فتح الياء وكسر الشين حمزة، وهما خارجان عن الفصاحة.

قوله «الأعلم» أي المشقوق الشفة العليا.

قوله «وأخفى السؤال»

بالحاء المهملة، أي استقصاه وبالف فيه، وفي كثير من النسخ بالحاء المعجمة، ولعل وجهه الخوف والتقية.

قوله «أشار على أبي بترك الخروج»

ربما يستفاد من هذا وأضرابه ذم أبيه، بل ما هو أعظم منه لمخالفته لإمامه، لكن المستفيض في الأخبار مدحه والثناء عليه، وأن خروجه إنما كان لطلب ثار الحسين عليه السلام، ولا ينافيه نهى الإمام عليه السلام له، لأنه إما من باب التقية، أو من باب الشفقة عليه، كما يستفاد من سياق العبارات الآتية، وما قيل من أن نهيه عليه السلام له كان

نهى تحريم، إلا أن الله تعالى قد عفا عنه بدعاء الإمام له وقرابته منه، فلا يخفى بعده، وأما غير زيد من أصحاب الخروج، كيحيى ومحمد وإبراهيم فقد استشكل أصحابنا حالهم لما صدر منهم بالإضرار بالإمام عليه السلام، والحق أن بكاءه عليه السلام عليهم بعد قتلهم، وتأسفه عليهم عند أسرهم، مما يرفعان الإشكال عن حالهم، وأي فرد من أفراد الشيعة لم يصدر منه الإضرار بالإمام، ولو لم يكن إلا بارتكابنا للمعاصي، فإنه من أشد الضرر على طباعهم المباركة، لكن شفقتهم علينا توجب الصفح عن مثله، وكيف لا، وقد روي أن الله تعالى غضب على الشيعة بإفشائهم أسرار الأئمة وأراد أن يستأصلهم بالعذاب، فأخبر موسى الكاظم عليه السلام بأني مستأصل شيعتك هذه السنة، فقال عليه السلام: يا رب أحب أن أفدي شيعتي بنفسي، ويبقون هم على الأرض، فأماته الله شهيداً تلك السنة فداء للشيعة، فإذا كان هذا حالهم مع الأجانب، فكيف مع اولادهم وأقاربهم، مع أن خروجهم إنما كان بعد أن هتكت حرمتهم، ونهبت أموالهم، وسبيت ذراريهم، ولقبوهم بالخوارج، وقالوا لهم لو كان جدكم على الحق لما فعل بكم ما ترون، ومثل هذا يوجب أعمال الغيرة من أراذل الناس، فكيف من بني هاشم، مع أنه روي عن الرضا عليه السلام صريحاً، النهي عن تناول عرض العباس بن موسى الكاظم عليه السلام مع أنه صدر منه بالنسبة إلى أخيه الرضا عليه السلام وإلى أم أحمد زوجة أبيه من الأذية والاستخفاف ما لم يصدر من غيره، وحيثئذ فتكلم بعض علمائنا في أعراضهم جرأة على ذرية أهل البيت عليه السلام.

قوله «نعم»

كسر العين فيه وفيما سيأتي حمزة، وهي لغة في الفتح، حكاها بعض أهل العربية.

قوله «فداءك»

بالمد لمكان كسر الفاء، والقصر لو فتح، وجوز القصر مع الكسر أيضاً، إما مطلقاً، أو إذا لاقى لام الجر مثل فداء لك.

قوله «أستقبلك» أي أشفئك، أو أقوله لك في مستقبل سفرك.

قوله «هات» بكسر التاء، اسم فعل بمعنى أعطني.

قوله «يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ»

ذكر المفسرون فيه ضرورياً من التفسير، وكلها لا تناسب المقام، والمناسب له ما روي عنهم عليه السلام، من أنه تعالى خلق لوحاً سماه لوح المحو والإثبات، وقد كتب فيه الآجال على طريق التعليق والشرط، كأن يكون عمر زيد ثلاث سنين إن قطع رحمه، وثلاثين إن وصله، فإن أتى بالأول محو الثاني، وإن أتى بالثاني محو الأول، وكذا في جانب الأرزاق وغيرها من التقديرات، وقد روي أنه تعالى ينظر إلى ذلك اللوح كل يوم ثلاثمائة نظرة، يمحو في كل نظرة ما يشاء ويثبت في كل نظرة ما يشاء، وأما أم الكتاب، فالمشهور تفسيراً وأخباراً، أن المراد به اللوح المحفوظ الذي لا يلحقه محو ولا إثبات، بل الأمور مثبتة فيه على ما هي عليه في الواقع، وحيث لا يحكمه في إيجاد لوح المحو والإثبات خفية، وربما كان منها حث العباد على الطاعات وترغيبهم فيها، وقيل هو تأكيد للأول، وتسميته به، باعتبار ما روي أن الله تعالى إذا أراد شيئاً، من إنزال آية، أو إمضاء حكم، أمر القلم فكتب في ذلك اللوح، وقرأه إسرافيل فانتقش في جبهته، وقرأه جبرائيل من جبهته، فذلك اللوح أصل للقرآن ومحل لإيجاده أولاً، فلذا سمي أم الكتاب.

قوله «هَذَا الْأَمْرُ»

أي دين الشيعة والإمامة والخروج، وقيل طلب ثار الحسين عليه السلام، وهو بعيد.

قوله «مَلَبَّيَّا» زماناً طويلاً، للتفكر في التكلم بالحق.

قوله «رَأْسُهُ» بالهمزة، وبقلبها ألفاً تخفيفاً، لكنه غير مشهور عند أرباب الاشتقاق.

قوله «مِنْ ابْنِ عَمِّي»

يروى بفتح نون من للخفة، لأن في كسره اجتماع الكسرتين، وبكسرها، بناء على ما اشتهر من تحريك الساكن بالكسر لكمال المناسبة بينهما، وأما المشهور في هذه الحركة فهو الفتح إن لاقت لام التعريف طلباً للخفة فيما كثر استعماله، والكسر في غيره كما هنا لعدم كثرة استعماله، فيرجع فيه إلى تحصيل المناسبة المشهورة.

قوله «وَجُوهَا» أي أنواعاً وأبواباً.

قوله «أَمْلَأَ»

بالألف، من الإملال على الكاتب، وأصله ملله من المضاعف، بحكم قوله فليملل الذي عليه الحق قلبت لامه ياء، ويوجد في بعض النسخ بالهمزة، وحكم الفاضل الداماد بأنه تصحيف، وهو كما ترى لأن مثل هذا القلب ذائع شائع.

قوله «وإنَّ أباي» الواو إما للاستئناف أو الحالية.

قوله «يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ»

ظاهر الإطلاق الحقيقة، سيما وقد اعتضد بتقرير الأئمة عليهم السلام، وبتلفظهم وافتخارهم به على بني العباس وخلفاء الجور، واستدلالهم عليهم السلام على حرمة بناتهم على جدّهم الرسول ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَحَلَّائِلُ أَبْنَائِكُمُ﴾ في مقام المفاخرة، وحَ فما ذهب إليه علم الهدى (قده) في هذه المسألة جيد، وطريق ما عارضه من الأخبار الضعيفة الحمل على التقية، وقد بسطنا الكلام في هذه المسألة في كتابنا الموسوم بغاية المرام في شرح تهذيب الأحكام.

قوله «بِوَلَايَتِكُمْ»

بفتح الواو بمعنى النصره والمتابعة، وبكسرهما بمعنى تولي الأمور وتديرها، فعلى الأول يكون من إضافة المصدر إلى المفعول، وعلى الثاني يكون من باب إضافته إلى الفاعل.

قوله «فَرَمَى صَحِيفَتِي»

الظاهر أن مثله لم يكن من سوء الأدب عندهم كما هو الآن، وإلا فلا يجوز صدور مثله عن مثله.

قوله «عَلَامَ»

ورد بمعنى العبد، وبمعنى الخادم، وبمعنى الشاب الذي طلع شاربه.

قوله «بِعَيْنِي» وهو وعاء الثياب أو لامة الحرب.

قوله «وَبَكَى» لأنه كان خاتم أبيه.

قوله «فَيَكْتُمُوهُ» وفي س^(١) بإثبات النون، وحيث قد فالفاء فيه للاستئناف، على حد قوله :
ألم تسأل الربع القواء فينطق أي فهو ينطق .

قوله «مُحَمَّدٌ وَإِبْرَاهِيمُ»

روى الكليني حديثاً طويلاً، وفيه أن الصادق عليه السلام منعهما عن الخروج أشد المنع، ومنه استدل بعض المعاصرين أنهما ملعونان مطرودان من رحمة الله سبحانه، وحمل التشبيه المذكور فيما سيأتي من قوله إني لأعلم أنكما ستخرجان كما خرج، على مطلق الخروج والقتل، لا في الحقيقة، فإن زيدا محق قطعاً، وهو غير جيد، لأنه إن أراد الحقيقة في الواقع فهما وزيد سواء، لورود النهي بالنسبة إليهم جميعاً، وإن أرادها بالنسبة إلى الاعتقاد فكذلك أيضاً، فإنه لم يخرج أحد من هؤلاء إلا لطلب ثار الحسين عليه السلام، أو لرفع تسلط الظلمة عن بني هاشم، أو ليكون خليفة وحاكماً، ولا ريب أنهم أحق من بني أمية بها نظراً إلى الواقع والاعتقاد، وإن كان أصلها لغيرهم، وهم المعصومون منهم عليهم السلام، نعم يفرق بينهما وبين زيد بإيذائهما للإمام عليه السلام وعدم إيذاء زيد له، وقد عرفت الجواب عنه، مع أن في ذلك الحديث الطويل أنه لما أرسل إليهم الدوانقي فقتلوه وحملوهم في محامل لا وطاء لها وأوقفوهم بالمصلى لكي يشتمهم الناس، فكف الناس عنهم ورفقوا لحالهم، ثم لما أتى بهم باب المسجد، الباب الذي يقال له جبرئيل، أطلع عليهم أبو عبد الله عليه السلام، وعامة ردائه مطروحة بالأرض، ثم أطلع من باب المسجد فقال: لعنكم الله يا معاشر الأنصار، ثلاثاً، ما على هذا بايعتم رسول الله ﷺ ولا بايعتموه، أما والله إن كنت حريصاً، ولكنني غلبت، وليس للقضاء مدفع، ثم أنه دخل بيته فحم عشرين ليلة، لم يزل يبيكي فيها الليل والنهار حتى خيف عليه، ولو لم يكن له إلا بكاءه عليه السلام لكان كافياً في عدم جواز تناول أعراضهم باللعن والسب .

قوله «إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ»

وهو الذي سماه الدوانقي أبا قحافة تهكماً به، لأنه لم يدع الخلافة من أبوه حي سواهما، وسوى أبي بكر، وسوى عبد الكريم الطائع لله، فإنه تولى الخلافة وأبوه المطيع خلع نفسه منها، وروى أهل السير أن أبا قحافة كتب إلى ابنه أبي بكر، زمن

(١) هذا الحرف هو علامة على «نسخة ابن ادريس» .

خلافته، كتاباً فيه، إنك يا بني لما وليت خلافة المسلمين، فإن كان لكبر سنك، فأنا أبوك أكبر منك، فأنا أحق بها، وإن كان لقدمك في الإسلام، ففيهم من هو أقدم منك. قوله «في هذا الأمر» أي الأمر بالسيف، أو أمر وصيته.

قوله «ها هي»

ها حرف تنبيه، وقد اشتهر بين النحاة أنها لا تدخل من المفردات إلا على أسماء الإشارة، وجوزوا الفصل بينها وبين اسم الإشارة إما بقسم أو بضمير، وحيثُ فإما أن يقال بتقدير اسم الإشارة، أو بتقدير خبر هي ليكون مدخولها جملة.

قوله «يا إسماعيل»

قال بعض الأعلام هو إسماعيل الذي ورد فيه حديث البداء، بمعنى النسخ، من إمامته إلى إمامة موسى بن جعفر عليه السلام، والعجب من صاحب نقد المحصل، حيث أنكر البداء مع شيوع هذا الحديث واستفاضته، انتهى.

أقول: أما الحديث المذكور فهو قول الصادق عليه السلام، ما بدا لله في شيء مثل ما بدا له في إسماعيل، وأما جعله البداء هنا بمعنى النسخ فغير جيد، فإن النسخ إزالة ما ثبت بدليل شرعي، وليس الثابت في الألواح السماوية والألواح الأرضية، كلوح فاطمة عليها السلام المكتوب فيه أسماء الأئمة عليهم السلام إلا موسى عليه السلام، بل البداء هنا بمعنى ظهور شيء لعامة الناس لم يكن ظاهراً قبل، فإن عامة الشيعة كانوا يزعمون أن الإمام بعد أبيه إسماعيل، لأنه أكبر أولاده عليه السلام، فأظهر الله لهم بموته أن الإمام هو موسى عليه السلام، وإن أطلقت النسخ على هذا مجازاً فلا مشاحة، وأما إنكار صاحب النقد لأخبار البداء فمنكر، لاستفاضة الإخبار به بين الفريقين، حتى أنه ورد ما عبد الله بمثل البداء، ولم ينكره سوى اليهود، حيث قالوا يد الله مغلولة، فأجيبوا بقوله: «غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا»، وتابعهم عليه الفخر الرازي وشرذمة من أهل الخلاف، بل قال الفخر الرازي إنه من مبتدعات أئمة الروافض، لاضطرابهم في المسائل، حتى أنهم إذا أخبروا شيعتهم بأمر وقع خلافه قالوا في الاعتذار «يُمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب»، ولعمري إن هذا الفاضل قد شارك اليهود في هذه المسألة، فاستحق ما أجيبوا به، وهو حسبه في هذا المقام.

قوله «فقبّلها»

إما لكونها دعاء جده، أو لانضمام خط أبيه إليه، وعلى الأول فيدل بمفهوم الموافقة على استحباب تعظيم القرآن وتقييله ووضعها على العين، بل يدل على استحباب تقبيل جميع ما ينسب إليهم عليه السلام من الآثار.

قوله «عليهم السلام»

المسلم هو الإمام عليه السلام، والإتيان بضمير الجمع إنما هو للتعظيم، والقول بإدخال من تقدم من آبائه عليهم السلام أو بكون المسلم هو أحد الرواة فإدخاله في السلام بعيد.

قوله «إن رأيت»

هو من الأفعال القلبية، وقد حذف هنا ثاني مفعوليه مع جزاء الشرط، أي إن رأيت العرض حسناً فأذن لي فيه.

قوله «إلى ابني» وفي نسخة البهائي (قده) أبي، وهو تصحيف.

قوله «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ، انتهى».

هو في الظاهر هذا، وفي الباطن المراد بالأمانة المأمور بردها الخلافة، أو الصلاة، أو الإمامة التي أمر كل إمام أن يؤديها إلى من بعده، على اختلاف الأخبار. قوله «مَكَانَكَ» أي اجلس مكانك.

قوله «لَا تَخْرُجَا بِهِذِهِ الصَّحِيفَةِ»

وفي س لا تخرجا هذه الصحيفة، والفرق بينهما هو ما ذكره أهل العربية بين قولهم. أَذْهَبَ عمرو زيداً وذهب عمرو بزيد، من أن مؤدى الأول إذهاب عمرو لزيد سواء ذهب معه أم لا، ومؤدى الثاني مصاحبتهما في الذهاب، قال بعض الأعلام. وعلى هذا يكون قوله عليه السلام على الرواية المشهورة، أدلّ وأنصَح وأصرح في عدم خروجهما من المدينة مع الصحيفة منه على رواية ابن إدريس، بل على هذه الرواية إنما يدل على عدم إخراج الصحيفة منها، لا على عدم خروجهما منها، والمقام يقتضي المنع منهما كما لا يخفى، فظني أن القرائن إنما تدل على المعنى المستفاد من عبارة

س، لأن قوله عليه السلام هذا ميراث ابن عمكما انتهى. الظاهر أن المراد نهيهما عن إخراجها، وأما نهيه عليه السلام لهما عن الخروج فقد استفيد من دليل خارج، ويتضمن هذا الكلام ضمناً.

قوله «فَلَا تَأْمَنَّا»

دخول الفاء إما على تقدير أما، أو على تقدير خبر المبتدأ، أي وأنتما مثله فلا تأمنا، ويجوز الاستدلال به على ما ذهب إليه الأخفش من جواز إدخال الفاء على الخبر وإن لم يكن المبتدأ متضمناً لمعنى الشرط.

قوله «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ»

المشهور في تفسيرها أن الحول بمعنى القوة، فالجملة الثانية تأكيد للأولى، وروي في تفسيرها عن علي عليه السلام، أن الحول بمعنى الحائل والمانع، أي لا حائل عن المعاصي، ولا قوة على الطاعات إلا بالاستعانة منه تعالى.

قوله «عَنْ جَدِّهِ عَنْ عَلِيٍّ»

وفي س عن جده عن علي، وحينئذ فالضمير راجع إلى الأب الثاني، وقد روى رئيس المحدثين عن زرارة عن أحدهما عليه السلام، قال أصبح رسول الله ﷺ يوماً كئيباً حزيناً، فقال له علي عليه السلام مالي أراك يا رسول الله كئيباً حزيناً، فقال وكيف لا أكون كذلك، وقد رأيت في ليلتي هذه أن بني تميم وبني عدي وبني أمية، يصعدون منبري هذا، يردون الناس عن الإسلام القهقري، فقلت يا رب في حياتي أو بعد موتي، فقال بعد موتك، ولا تنافي بين الروایتين، لجواز وقوع الرؤيتين.

قوله «الْقَهْقَرَى»

هو الرجوع إلى خلف، وهو مصدر نوعي، وحقيقته هنا أنهم كانوا قبل زمانه عليه السلام جاهلية كفرة، وقد شرفهم الإسلام، وبعد موته عليه السلام رجعوا إلى ذلك الكفر والجهل الذي كانوا عليه، بحكم قوله عليه السلام ارتد الناس كلهم بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة.

قوله «جَبْرِئِيلُ»

وفيه لغات كثيرة، جبرئيل بوزن قنشليل، وجبرئيل بحذف الياء، وجبريل بحذف

الهمزة، وجبريل بوزن قنديل، وجبرال بلام مشددة، وجبرائيل بوزن جبراعيل، وجبرائيل بوزن جبراعل، وما أحسن قول صاحب الكشف، عجمي فالعبوا به ما شئتم، ومعناه عبد الله وصفوته.

قوله «وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا، انتهى».

والمعنى والله أعلم، وما جعلنا الذي أريناكه في المنام من نزو القردة على منبرك، وما خلقنا الشجرة التي لعناها في القرآن، التي هي شجرة بني أمية، التي منها الخليفة الثالث وأضرابه، إلا ليفتن الناس بهم بالإطاعة والعصيان، والظاهر أن لعنها كان صريحاً في القرآن، كما يدل عليه كثير من الأخبار، لكنهم حذفوه كما حذفوا غيره، والضمير في تخوفهم راجع إلى الناس، أي تخوف الناس عن متابعة التميمي والعدوي وشجرة بني أمية فلا يزدادون إلا طغياناً وتعصباً على متابعتهم، وقد ذكرنا آراء المفسرين في هذه الآية في شرحنا الكبير.

قوله «رَحَى» بألف الحمرة في المواضع الثلاثة وهو لبيان ضبط رسم الكتابة، لا لبيان اختلاف المعنى.

قوله «مَهَا جِرْكُ»

بفتح الجيم^(١)، وهو أحسن النسختين، أي وقت المهاجرة، وحاصله أن رحى الإسلام تدور على قطبيها من حين هجرتك إلى المدينة إلى عشر سنين، وهي مدة مكثه صلوات الله عليه وآله في المدينة، ثم تنقطع عن هذا الدوران الحقيقي وتدور معوجة خمساً وعشرين سنة، مدة خلافة الثلاثة، ثم تستأنف دورانها الحقيقي إلى مدة خمس سنين، زمن خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والحسن عليه السلام، وحينئذ فثم في قوله: ثم «لا بد من رحى ضلالة»، للتراخي في الرتبة لا للتراخي في الزمان، ورحى الضلالة عبارة عن خلافة التميمي والعدوي والأموي، وملك الفراعنة هو ملك بني العباس، ويجوز أن يكون للتراخي فيه، فيكون رحى الضلالة إشارة إلى ملك معاوية ومن بعده من سلاطين بني أمية.

قوله «في ذلك» أي في ملك بني أمية وبيان مدته.

(١) لم أعثر عليه - بهذا المعنى - بالفتح مطلقاً، بل هو بالكسر كما في المنجد.

قوله «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ»

ولا ينافيه ما استفاض من نزوله في مدة ثلاث وعشرين سنة منجماً، لأن المراد ابتداء نزوله كان في ليلة القدر، كما قيل، أو المراد أنه أنزل في فرضه، وإيجاب صومه على الخلق القرآن، فيكون فيه بمعنى في فرضه، كما يقول القائل أنزل الله في الزكاة كذا، يريد في فرضها، أو أنه نزل جملة، ليلة القدر إلى السفارة، أو إلى سماء الدنيا، ثم نزل منجماً، وقال الصدوق (ره) تكامل نزول القرآن في ليلة القدر، ويفهم من تتبع الأخبار معنى آخر، وهو أنه نزل عليه ﷺ قبل البعثة جملة، ليتعبد به، ولعله كان في ليلة القدر، ثم نزل بعد البعثة مفصلاً على حسب المصالح، ويؤيده ما روي أنه ﷺ كان يسبق جبرئيل بتلاوته، حتى نزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾، وأما تسمية هذه الليلة بهذا الاسم، فإما باعتبار أن القدر بمعنى التقدير، لأنه تعالى يقدر فيها جميع أمور السنة، بحكم قوله تعالى: ﴿فِيهَا يَفْرُقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾.

وفي الحديث أن الله تعالى قدر فيها السموات والأرض وولاية أمير المؤمنين ﷺ، أو لأن القدر بمعنى الشرف والخطر، لأن لها قدراً وشرفاً عند الله تعالى، ولصاحبها إذا أطاع الله فيها، أو للطاعات فيها لتضاعفها وعظمتها، أو لأنه أنزل فيها كتاب ذو قدر، إلى رسول ذي قدر، لأجل أمة ذات قدر، على يدي ملك ذي قدر، وقيل مأخوذ من القدر بمعنى الضيق، من قوله: ﴿وَمَنْ قَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾، لأن الأرض تضيق بالملائكة، وأما أنها آية ليلية، فقد أجمع أصحابنا رضوان الله عليهم على أنها إحدى الليالي الثلاث المشهورة، وأكثر الأخبار دالة على انحصارها في آخرتها، بل ادعى شيخ الطائفة في التبيان عليه الإجماع، ويستفاد من بعض الأخبار طريق لجمع الأخبار دال على أن لكل ليلة من الليالي الثلاث مدخل في التقدير، ففي الأولى تقدير الأمور، وفي الثانية يكون امضاؤها، قال أستاذنا العلامة لما اقتضت حكمته البالغة توجه الخلق إلى جنبه، قدر للأمور تقديرات، وقدر للتقديرات مراتب مختلفة، ففي المرتبة الأولى من التقدير يمكن تغير ما قدر من سوء القضاء، أسهل من كونه في المرتبة الثانية، وتغيره في الثانية أسهل منه في الثالثة، كما في أحكام الملوك والسلاطين، تعالى عن المشاكلة، فإن فيها مراتب في الحكم وقبول في التغير إلى أن تنتهي إلى التزين بخاتم الملك، فعند ذلك يعسر تغيره، فكذا تغير ما قدره وأحكمه.

وأما ما تعالى يعسر بعد ليلة ثلاث وعشرين، وإن ورد أن الله فيه المشيئة، وأما فائدة تنزل الملائكة بحوادث السنة تلك الليلة على الإمام عليه السلام مع أنه قد تواتر بين الشيعة أن عند الأئمة عليهم السلام كتاب الجفر والجامعة ومصحف فاطمة وسائر علوم القرآن، وفيها ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، فالذي يظهر من ممارسة آثارهم عليهم السلام أن لعلومهم مراتب في الإجمال والتفصيل، فالكتب المزبورة متضمنة لسائر العلوم على طريق الإجمال، من غير تفصيل للأمور الواقعة في كل سنة، وفي ليلة القدر يعزز منها علم ما يقع في تلك السنة من غير تفصيل لحوادث كل أسبوع، وفي ليلة الجمعة تزور أرواحهم العرش فيفرز من هذا العلم العلم المتعلق بذلك الأسبوع، كما قال عليه السلام ولولا أن أرواحنا تزور العرش، وتطوف حوله ليلة الجمعة وتكتسب من هناك علوماً شتى لنفد ما عندنا، وأما ما يحتاجون إليه من حوادث الساعات فيحصل لهم تارة بالنقر في الأسماع، وأخرى بالنكت في القلوب، وهذا إنما هو بالنسبة إلى بعض علومهم، كما لا يخفى.

وأما القول بأنهم عليهم السلام يعلمون تلك العلوم على طبق لوح المحو والإثبات وينزل عليهم تلك الليلة ما خلا عنهم، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام لولا آية في كتاب الله لأخبرتكم بما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وهي قوله تعالى: ﴿يُمحى الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾، أو أنهم عليهم السلام يعلمونها مفصلاً لكنهم غير مأذونين في إلقيائها إلى الناس إلا إذا فصلت تلك الليلة، كما وقع لجدهم عليه السلام من معرفته لتفاصيل القرآن قبل البعثة، ولم يرخص في الإخبار بها بعدها إلا بعد نزولها مفصلة ثانياً، أو أن فائدة النزول تشريف الملائكة بخدمتهم وبالسلام عليهم فلا يخلو من بعد، سيما هذا الأخير، فإنه خال من الدليل، وهذا كله ظاهر لا غبار عليه، وإنما الإشكال في أن ليلة القدر مختلفة باختلاف الأقاليم بناء على كروية الأرض، وحينئذ فمدار ليلة القدر على أي بلاد، ذكر فيه أستاذنا العلامة ضرورياً من الأقوال، أولها أن المدار على بلد الإمام عليه السلام، ويكون لمن سواهم ذلك الثواب إذا عملوا أعمالها في الليلة الأخرى، وثانيها أن يكون عليه السلام في كل ليلة في إقليم، وتنزل عليه الملائكة في الليلتين، وثالثها أن يكون عليه السلام مستقراً في بلده، وتنزل عليه الملائكة في كل ليلة بأحوال تلك البلاد التي تلك الليلة ليلة قدرهم، وأحسن هذه الوجوه هو الأول.

قوله «تَمَلَّكَهَا بَنُو أُمِيَّةَ، انتهى».

وحاصل المعنى أن سلطنة الإمام عليه السلام في تلك الليلة بتنزل الملائكة وسلامهم عليه وتهنيتهم له خير من مدة ملك بني أمية تلك المدة الطويلة، وقيل المراد أن عبادة تلك الليلة الواحدة خير من العبادة في مدة ملك بني أمية، لأنهم سلبوا فضلها، وقيل أيضاً إن امتنان الطاعات الواقعة في غيرها أعظم من امتنان ملك بني أمية، بالنظر إلى باقي السلاطين، وقوله ليس فيها ليلة القدر، معناه أنه تعالى رفعها من شهور ملكهم، أو يكون المعنى أنها خير منها ما عدا ليلة القدر، والأول أوفق باللفظ، والثاني أوفق بالروايات الدالة على وجودها في زمان كل إمام، وفي إضافة المالكية إلى الشهور مبالغة لا تخفى.

قوله «تَمَلَّكَ سُلْطَانٌ»

في الأصل بوزن تقتل، وفي س بوزن تكرم، وكلاهما غير موجود في كتب اللغة، بل الموجود منها بوزن تضرب، كما هو موجود في بعض النسخ القديمة.

قوله «وملكها طول»

في الأصل بنصبهما، فنصب الأول على المفعولية لتملك، ونصب الثاني على الظرفية.

قوله «فَلَوْ طَاوَلَتْهُمْ الْجِبَالُ لَطَالُوا عَلَيْهَا»

يقال طاوله أي قابل طوله بطوله، وطال عليه أي غلبه في الطول، وهو مثل للاقتدار والغلبة، لأن أغراء الرجال طيالها، وقال بعضهم: إنَّ طاول مشتق من الطول بفتح الطاء بمعنى السعة والغنى، أي أن غناهم وأموالهم أزيد من معادن الجبال وأكثر منها، ولعل الإمام عليه السلام أشار بقوله لطالوا عليها، إلا أن قلوبهم في القساوة أشد من الجبال والأحجار، انتهى. ولا يخفى ما في هذا القول من الخروج من أسلوب العرب.

قوله «يَسْتَشْعِرُونَ عَدَاوَتَنَا»

أي يجعلونها شعاراً لهم، وهو كناية عن تمكن العداوة في قلوبهم، لأن الشعار الثوب الذي يلي الجسد، كما أن الدثار هو الثوب الذي يكون فوقه.

قوله «أَهْلُ الْبَيْتِ»

نصبه على الاختصاص، وجره كما في س على ما ذهب إليه الأخفش من جواز إبدال الظاهر من ضمير المتكلم على حدي المسكين، والمشهور جوازه، لكن في غير بدل الكل.

قوله «نِعْمَتُ اللَّهِ»

قال الصادق عليه السلام: نحن والله نعمة الله التي أنعم بها على عباده، وبنا يفوز من فاز، وقد بدلوها بولاية الجبت والطاغوت، وقد روي مستفيضاً عن الصادق عليه السلام أنه لما بلغه تفسير أهل العراق للنعيم، في قوله تعالى: ﴿لَتَسَالُنَّ يَوْمئذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾، بالماء البارد والنوم الطيب، غضب وقال إن الأمتنان مستقبح من المخلوقين، فكيف يضاف إلى الخالق عز وجل ما ينزه المخلوقون به، ولكن النعيم حبنا أهل البيت وموالاتنا، يسأل الله عنه بعد التوحيد والإيمان، لأن العبد إذا وفي بذلك أداه إلى نعيم الجنة الذي لا يزول.

قوله «دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ» البوار الهلاك، وجهنم بدل منها.

قوله «يَصْلَوْنَهَا»

حال من قومهم، أو من جهنم، أو منهما، وروي عن علي عليه السلام أن المعنى بهذه الآية هما الأفجران من قريش، بنو أمية، وبنو المغيرة، فأما بنو أمية فمتعوا إلى حين، وأما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر، وقيل إنهم جيلة بن الأيهم ومن تبعه من العرب، تنصروا ولحقوا بالروم، وأحلوا قومهم، أي أنزلوهم دار الهلاك، أي النار بدعائهم إياهم إلى الكفر بالرسول ﷺ.

قوله «وَبِئْسَ الْقَرَارُ» قرار من يكون قراره النار.

قوله «ذَلِكَ»

المشار إليه ما رأى عليه السلام في منامه إلى هنا، وقد روى الفريقان أنه عليه السلام بعد الرؤيا أسرَّ إلى أبي بكر وعمر أمر بني أمية، واستكتمهما عليه ذلك، فأفشى عمر عليه سره، وحكاه للحكم بن أبي العاص، وأسر إلى حفصة أمر أبي بكر وعمر، وقال لها إن أباك وأبا بكر يملكان أمر أمتي، فاكتمي عليّ هذا، فأفشت عليه سره، ونبات به

عائشة، فجاءه بذلك الوحي ونزلت فيه سورة التحريم، أقول وهذا هو الذي حملهما على أن سقيه السم، كما رواه الثقة العياشي عن أبي عبد الله عليه السلام، فإنه لما أسرَّ إليهما أن أبواهما يملكان أمر هذه الأمة ظلماً وتعدياً، قالوا لا بنتيهما اسقيه السم، تعجلاً على إتلافه، فسقيه السم، فكان السبب في موته عليه السلام، مضافاً إلى الأثر الذي كان في بدنه الشريف من سم اليهودية الخيرية في السخلة المشوية.

قوله «أَوْ يُنْعِشُ حَقًّا»

أي يرفعه ويشيده، وفي هذا إشعار بأن خروج محمد وإبراهيم ويحيى وزيد إنما كان لأحد هذين الأمرين، لأن المقام والكلام في شأنهم وقصتهم، فيدل على أنهم كانوا محقين في خروجهم، وإن حصل بسببه مكروه على الأئمة عليهم السلام، لأنهم لم يقصدوا من الخروج المكروه على الأئمة عليهم السلام، لكنه لزم من خروجهم، بل يمكن أن يستفاد منه حقية خروج كل خارج منهم، لعموم اصطلاح المنية، أي استئصالها لكل خارج منهم.

قوله «وَشِيعَتَنَا»

من باب العطف على الضمير المجرور بدون إعادة الجار، كما هو أحد المذهبين، وسيأتي تحقيقه، وأنه الحق.

قوله «نَيْفًا»

بتشديد الياء، وهو ما بين عقدين من عقود العشرات، وقد سقط من هذا العدد عشرة أبواب أيضاً، وبقي أربعة وخمسون باباً، والشهيد (ره) قد ألحق بعض الأبواب بأبواب الصحيفة، ظناً منه أنه هو الذي سقط، والظاهر أنه رآه في بعض النسخ القديمة، إلا أن بين الملحق والملحق به بون بعيد في مراتب الفصاحة والبلاغة، كما ستعرف إن شاء الله تعالى، وكذلك بعض مشايخنا المعاصرين جمع الدعوات والمناجاة المروية عن الإمام زين العابدين عليه السلام، فصارت ستين دعاء، وسماها أخت الصحيفة، لأنها مع الصحيفة متحدة في المنبع، قريبة في الفصاحة.

قوله «وَحَدَّثَنَا»

هذا كلام الصدوق، وفائدته بيان أن فهرست الأبواب كان في رواية المطهري،

ولم يكن في رواية الحسنی، فلذا أورد هذا السند فيما بین أجزاء الرواية الأولى، وذكر الفهرست ثم رجع إلى تلك الرواية، والحاصل أن الصدوق أسند إلى المتوكل بطريق آخر، لتلك الفاصلة، قال أستاذنا العلامة سلمه الله تعالى: والظاهر أنه كان بین الروایتین اختلاف، وكان رواية الحسنی أحسن، فذكر الصحيفة بلفظ الحسن، كما هو مصطلح المحدثین من أنه إذا كان الخبر منقولاً بزيادة على طريق واحد أن يذكروا الطريق أولاً ثم يقولوا واللفظ لفلان.

قوله «الرحبة»

بالكسر، والفتح غلط، وهي محلة من محال الكوفة، وقرية بدمشق، وموضع ببغداد، والأول هو الأشهر في الإطلاق، قال في القاموس وبالفتح رحبة مالك بن طوق على الفرات، فقال بعض من يدعي التحقيق: إن النزول الضيف والرحبة شخص اسمه مالك بن طوق على الفرات، واستند إلى عبارة القاموس، وهو فاسد، لأن معناها أن رحبة محلة هذا الرجل الواقعة على شط الفرات.

قوله «وهي التخميد»

لم يقحم لفظ الدعاء في هذه الأربعة، للإشعار بأنه عليه السلام كان يجمع بينها في القراءة فكانها دعاء واحد، يؤيده إيراد العاطف أوائلها، كما سيأتي، لكن يرد على هذا أنه ينبغي الإقحام في الأول والترك في غيره، كما لا يخفى.

قوله «وباقى الأبواب»

أي أصل الصحيفة دون الفهرست بلفظ الحسنی، لا المطهري، وإن كانا سواء في المعنى، وقيل المراد بباقي الأبواب باقي ترجمة كل باب من قوله: وكان من دعائه عليه السلام، انتهى. مما ليس فيما تقدم، والمعنى أنه سمع هذه العبارات من لفظه حال روايتها عنه مع الأدعية المذكورة، وهو بعيد، وأبعد منه ما قيل أن معناه، هذا المذكور مع باقي الأبواب، وقوله بلفظ أبي عبد الله كلام مستأنف، معناه أن الذي سمعه من لفظة قوله: حدثنا أبو عبد الله، انتهى.

دَعَاؤُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالتَّحْمِيدِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

«الْحَمْدُ لِلَّهِ»

روى الكليني بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام، ما أنعم الله على عبد بنعمة صغرت أو كبرت، فقال الحمد لله، إلا أدى شكرها، وروى بإسناده إلى عثمان، قال خرج أبو عبد الله عليه السلام وقد ضاعت دابته، فقال لئن ردها الله تعالى علي لأشكرنه حق شكره، قال فلما أتى بها فقال الحمد لله، فقال قائل جعلت فداك أليس قلت لأشكرن الله حق شكره، قال فقال أبو عبد الله عليه السلام، يعني قلت الحمد لله، وفي خبر آخر، أنه ما من أحد إلا وهو يدعو لك بقوله سمع الله لمن حمده، واللام إما للجنس، وإما للاستغراق، وهما عند التحقيق متلازمان في إفادة الانحصار، ويجوز كونها للعهد، والمراد به الحمد الذي حمد به نفسه، لأن الحمد هو إظهار صفات الكمال لأحد، وقد بسط بساط الوجود على ممكنات لا تعد ولا تحصى، ووضع عليه موائد كرمه التي لا تنهاى، فقد كشف عن صفات كماله بدلالات قطعية تفصيلية غير متناهية، فإن كل ذرة من ذرات الوجود تدل عليه، ولا يتصور مثل هذه الدلالات في الألفاظ والعبارات، ومن ثم قال عليه السلام: رب لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، ويجوز أن يكون هذا المعهود عبارة عما روي، من أنه تعالى يخلق صوتاً في عالم الملكوت، فيمجد نفسه في الليل والنهار ثلاث ساعات، وقيل هو ما حمده به أنبياءه المرسلون، وملائكته المقربون، لأنه الذي عرفهم حمده، والله مشتق إما من ألّه بمعنى عبد بفتح العين لأنه المعبود، أو من ألّهت إلى فلان إذا سكنت إليه، إذ القلوب تطمئن بذكره، أو من ألّه إذا تحير، إذ العقول تتحير في معرفته، وكلما ازدادت معرفة ازدادت حيرة لمشاهدتها لآثار العظمة والجبروت، وملاحظتها لعالم اللاهوت، كما قال عليه السلام: اللهم زدني فيك تحيراً، وقوله: اللهم زدني فيك معرفة، وههنا سؤال مشهور، هو أن قول أمير المؤمنين عليه السلام وسيد الموحدين. لو كشف الغطاء لما ازددت يقيناً، دال على بلوغه في المعرفة غاية لا يتصور عليها الزيادة، فيلزم أن يكون أكمل فيها من